اشتهر صامويل هنتينغتون ، الأستاذ في جامعة هارفارد ، بسبب كتابه الصادر عام ١٩٩٦ بعنوان "صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي". هذا لقاء معه أجرته أمينة تشودري من مجلة "إسلاميكا".

صامويل هنتينغتون: قد يعود العراق ليصبح القوة المهيمنة بين الدول العربية .. هذا أمر ممكن الحدوث

ترجمة : نوال لايقة

س١ — تقول نظريتك حول صراع الحضارات بأن السياسة العالمية اليوم هي نتاج لصراع متجذر بين الحضارات والأديان المختلفة. هذه المقولة اكتسبت زخماً نتيجة لهجمات ١١ أيلول، والآن كثيراً ما يتم تعريف الحرب ضد الإرهاب على انها صدام جوهري بين الغرب والإسلام. هل تشعر بان مقولتك قد استغلت أو أسيء استخدامها منذ هجمات ٩/١١؟ هل لك ان تعدل هذه الرؤية بأي طريقة من الطرق؟

- صامويل هنتينغتون: أرجح أن العلاقات بين الدول في العقود القادمة سوف تعكس التزاماتها الثقافية، وارتباطاتها الثقافية وخصوماتها الثقافية مع الدول الاخرى، أكثر مما ستعكس العوامل الأخرى.

من البديهي أن القوة ستستمر في لعب دور مركزي في السياسة العالمية، كما كان الحال دوماً. ولكن، عادة، هناك عوامل اخرى تكمن وراء الصراعات. في القرن الثامن عشر في أوروبا، كانت القضايا الخلافية تتعلق، إلى حد كبير، بمسألة الانظمة الملكية مقابل الحركة الجمهورية الناشئة، أولاً في أمريكا ومن ثم في فرنسا. في القرن التاسع عشر، كانت تلك القضايا الخلافية تتعلق بتعريف الدول لنفسها من خلال قوميتها. في القرن العشرين، أصبحت الأيديولوجيا في المقدمة، وكانت الثورة الروسية هي العامل الأهم وليس الوحيد في ذلك. وكانت الفاشية، الشيوعية والديمقراطية الليبرالية تتنافس بينهما.

لكن كل ذلك قد انتهى تقريباً. وأصبحت الديمقراطية الليبرالية مقبولة، نظرياً على الأقل، في كل أنحاء العالم، وإن لم تكن قيد التطبيق دوماً. ولهذا فإن السؤال الآن هو: ما الذي سيشكل محور اهتمام السياسة الدولية في العقود القادمة؟

ما زلت اعتقد ان الهويات الثقافية والخصومات الثقافية والانتماءات الثقافية سوف تلعب الدور الاكبر في العلاقات بين الدول.

س٢- أنت كتبت: "على مدى ٤٥ عاماً، كانت الستارة الحديدية هي الخط الأساسي الذي يقسم أوروبا. ذاك الخط انتقل مسافة مئات الأميال نحو الشرق. وهو الآن يفصل بين شعوب الغرب المسيحي من جهة، والشعوب الإسلامية والأورثوذوكسية من جهة اخرى."

هذا التقسيم الثنائي بين الغرب والإسلام ألا يوحي بأن هناك تجانسا داخل كل من هذين التصنيفين؟ ألا يتجاهل هذا التقسيم حقيقة أن هناك جماعات مسلمة داخل العالم الغربي؟

هنتينغتون: هذا الإيحاء خاطئ تماماً. أنا لا أقول أن الغرب هو كل متجانساً. من البديهي أن هناك انقسامات داخل الغرب وانقسامات داخل الإسلام. هناك طوائف مختلفة، هناك جماعات مختلفة، هناك دول مختلفة. إذاً، لا يوجد تجانس على الإطلاق، سواء داخل الغرب أو داخل العالم الإسلامي. ولا اعتقد أنه من المفيد أن نفكر في الامر على انه متعلق بكتلتين صلبتين. ولكن، مع ذلك، هناك صفات عامة في كل من الجانبين. الناس في كل مكان يتحدثون عن الإسلام والغرب. ولا بد من أن لهذا علاقة بالواقع، كما لا بد من أن يكون له معنى أيضاً. بالطبع، جوهر هذا الواقع هو الاختلافات في الدين.

س٣-هل يوجد أي توافق او نقطة التقاء بين هذين العالمين الواقعين على جانبي هذه "الستارة الحديدية الجديدة"؟

هنتينغتون: كما قلت من قبل، كلا الجانبين يحتوي على انقسامات. البلدان الغربية تتعاون مع الدول الإسلامية والعكس بالعكس. دعني أكرر أنه من الخطأ ان نفكر بجانبين متجانسين يواجهان بعضهما بشدة. السياسة العالمية هي شأن في غاية التعقيد وللدول مصالح مختلفة تدفعها إلى عقد صداقات وتحالفات غريبة. الولايات المتحدة تعاونت ومازالت تتعاون مع العديد من الديكتاتوريات العسكرية في العالم. نحن بالطبع نفضل ان نشهد تطبيق الديمقراطية فيها، ولكننا نعقد الصداقات والتحالفات معها حفاظاً على مصالحنا القومية، وهذا ينطبق على تعاوننا مع الباكستان او أفغانستان او غيرها.

س٤- تقول أنه مع تغير الحضارة في أمريكا، اتجهت نحو التركيز على الليبرالية الديمقراطية كآيديولوجيا.

هنتينغتون: كانت تلك هي الأيديولوجية الامريكية على الدوام، منذ الثورة في القرن التاسع عشر، أصبحت الدستورية والديمقراطية الليبرالية هي الآيديولوجيا السائدة في أمريكا، رغم أني بشكل عام أحاول تجنب استخدام مصطلح آيديولوجيا لوصف هذا. أنا أتحدث عن المعتقدات والمبادئ الامريكية.

عند ذكر كلمة آيديولوجيا، اول ما يخطر على اذهان الجميع هو الشيوعية، التي كانت آيديولوجيا وعقيدة كاملة الصياغة. يكفي أن تقرأ البيان الشيوعي كي تدرك ما جوهرها، اما ما لدينا الآن فهو مجموعة اقل تحديدا من القيم والمعتقدات، بقيت ثابتة نسبياً على مدى ما يقارب قرنين ونصف من الزمن. وهذا مدهش.

حدثت بالطبع بعض التغيرات والتكيف نتيجة للنموالاقتصادي، والتصنيع، والموجة الهائلة من المهاجرين الذين قدموا إلى هذه البلاد، والازمات الاقتصادية، والكساد الاقتصادي، والحروب العالمية. لكن جوهر المبادئ الامريكية بقي ثابتاً إلى حد كبير.

لو أن واحداً ممن كتبوا إعلان الاستقلال عاد إلى الحياة اليوم، لن يدهشه ما يقوله الأمريكيون ولن تدهشه معتقداتهم أو ما يعلنونه في تصريحاتهم العامة. بل سيجد كل ذلك مألوفاً لديه.

س٥- كيف يبلي العالم الإسلامي في عالمنا الحالي الذي أصبح يقبل بصورة عامة مبدأ الديمقراطية الليبرالية، نظرياً إن لم يكن عملياً؟

هنتينغتون: شهدنا بدايات لتغيرات اجتماعية واقتصادية مهمة في العالم الإسلامي، وأعتقد أن هذه التغيرات ستقود، في الوقت المناسب، إلى المزيد من التغيرات السياسية. المجتمعات العربية، كغيرها من المجتمعات، تصبح اكثر فأكثر مدنية، والكثير منها يصبح صناعياً. ولكن امتلاك الكثير منها للنفط والغاز يجعلها لا تمتلك الحافز القوي للتغيير.

وفي نفس الوقت، الدخل الناتج عن الموارد الطبيعية يمنح هذه المجتمعات القدرة على التغيير. هناك بلدان مثل إيران بدأت ببناء وتطوير صناعات لديها.

س٦ — هل تعتقد أن "الحضارة الإسلامية" سوف تصبح اكثر ترابطاً وتجانساً في المستقبل؟

هنتينغتون: لقد شهدنا بالتأكيد تحركا في ذاك الاتجاه. هناك بالتأكيد العديد من الحركات السياسية العابرة للعالم الإسلامي كله، والتي تحاول أن تكسب قبول وتأييد المجتمعات الإسلامية. لكني أشك في أن تجانساً حقيقياً سوف يولد في المجتمعات الإسلامية كنظام سياسي وحيد تتم إدارته من قبل مجموعة من القادة غير المنتخبين أو المنتخبين بالطرق الديمقراطية.

لكني اعتقد أنه بمقدورنا ان نتوقع من القادة في العالم الإسلامي أن يتعاونوا بينهم حول قضايا كثيرة، تماماً كما تتعاون المجتمعات الغربية مع بعضها. ولا استبعد تماماً أن تقوم البلدان الإسلامية، أو البلدان العربية على الأقل، بتطوير منظمة خاصة بها شبيهة بالاتحاد الأوروبي. لا أعتقد أن هذا محتمل الحدوث قريباً، ولكنه أمر يمكن تصور حدوثه.

س٧ — سبق لك أن كتبت ما يلي: " الحضارة الإسلامية تفسر، إلى حد كبير، عدم نشوء الديمقراطية في معظم بلدان العالم الإسلامي." ومع ذلك فإن أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي لديها انظمة ديمقراطية

—إندونيسيا، مالاي، السنغال وحتى الهند، التي تحتوي على مجموعة سكانية كبيرة من المسلمين. ما العلاقة بين الامرين؟

هنتينغتون: أنا لا أعرف الإجابة على هذا السؤال لأني لست خبيرا في الإسلام، ولكن ما يثير الدهشة هو البطء الشديد في تحول البلدان الإسلامية، وخاصة العربية، إلى الديمقراطية. إرثهم الحضاري وآيديولوجياتهم قد تكون مسؤولة جزئياً عن ذلك. وتجربة الخضوع للاستعمار قد تكون أحد عوامل صراعهم مع أي سيطرة غربية، سواء كانت بريطانية او فرنسية او غيرها. الكثير من هذه البلدان كان حتى وقت قريب مجتمعات ريفية تحكمها نخبة مؤلفة من مالكي الأراضي (الإقطاعيين).

أعتقد ان هذه البلدان تتجه بالتأكيد نحو المدينية ونحو انظمة سياسية أكثر تعددية. هذا يحدث في كل بلد إسلامي تقريباً. وهذه البلدان تزيد بالطبع من حجم تعاملها مع المجتمعات غير الإسلامية. أحد العوامل الاساسية التي ستؤثر على عملية الدمقرطة في هذه المجتمعات هو هجرة المسلمين إلى أوروبا.

س٨ — ما رأيك بالفكرة التي طرحها مؤخراً زميلك في جامعة هارفارد، ستيفن والت وجون ميرشماير، من جامعة شيكاغو، والتي مفادها ان السياسة الخارجية الامريكية واقعة تحت تاثير وسيطرة المجموعات المؤيدة لإسرائيل التي لا تعمل وفقاً لما تمليه المصالح الامريكية، ولدرجة لا تتناسب مع حجم هذه المجموعات. هل تعتقد أن هذه الفكرة تعبر عن الواقع الموضوعي فعلاً؟

هنتينغتون: أعتقد أنها فكرة تستحق أن تؤخذ على محمل الجد. إنهما ليسا منظرين بأي من المقاييس. أنا لست مقتنعا بطرحهما، لكن ما لفت نظري هو تعبير "لدرجة لا تتناسب مع حجم وتأثير هذه المجموعات." لا أعرف كيف يمكن للمرء أن يحكم على ذلك. السياسة الخارجية الامريكية تتأثر من جميع النواحي بالمجموعات الإثنية المختلفة، كما انها تتأثر ايضاً بالمجموعات الاقتصادية والمجموعات الإقليمية. كان لدينا لوبي أيرلندي أثّر على السياسة الخارجية الامريكية طوال قرن ونصف من الزمن وفي بعض الأوقات جعل علاقتنا مع بريطانيا العظمى في غاية الصعوبة. وهناك لوبيات (مجموعات ضغط) شبيهة. اللوبي الإسرائيلي ليس استثنائياً، كما يدعي كثيرون، قد يكون مختلفاً عن غيره من حيث انه يركز اهتمامه على قضية واحدة —وهي بقاء اسرائيل وتعزيز المساعدات التي تحصل عليها إسرائيل.

س٨ - هل تعتقد، كما يعتقد كثيرون، بأن عدم الاستقرار في الشرق الاوسط يتعلق بشكل مباشر وأساسي بالتوتر القائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين؟

هنتينغتون: هناك بالطبع صراع في الشرق الاوسط بين الأسرائيليين والفلسطينيين، ولكن هناك عبر السنين الكثير من الصراعات الاخرى أيضاً —كالصراع بين إسرائيل ومصر، والصراع بين المجموعات الدينية المتنوعة في لبنان، وبين الحكومات والمجموعات المعارضة. هناك الكثير من الصراعات في الشرق الاوسط.

أما عن الاستقرار، فمن غير الواضح من هي الدولة، إن وجدت، التي ستصبح القوة المهيمنة في الشرق الاوسط. في أمريكا الجنوبية، هناك البرازيل. في أفريقيا، هناك جنوب أفريقيا. في أفريقيا الوسطى، هناك نيجيريا. في شرق آسيا، هناك الصين واليابان. في جنوبي آسيا، هناك الهند.

ما القوة المشابهة لتلك في الشرق الاوسط؟ اسرائيل لديها القدرة العسكرية، بما في ذلك الاسلحة النووية، التي تفوق بكثير القوة العسكرية لباقي دول الشرق الاوسط، لكنها بلد صغير. باقي شعوب الشرق الاوسط هي شعوب مسلمة وإسرائيل ليست كذلك، وبالتالي إسرائيل ليست مؤهلة لتصبح القوة القائدة في الشرق الاوسط.

إيران هي أحد الاحتمالات. هناك أيضاً الحقيقة البسيطة التي مفادها ان إيران ليست بلداً عربياً في حين غالبية مسلمي الشرق الاوسط هم من العرب.

هناك أيضاً تركيا، وهي دولة مهمة، لكنها هي أيضاً ليست بلداً عربياً ولها مصالح مهمة في النفط والغاز في منطقة شمال العراق وفي حماية حدودها من الحركات الانفصالية.

إذاً، ما الإمكانات في أن تلعب إحدى الدول العربية دور القوة القائدة التي يمكن مقارنتها بالقوى المهيمنة في المناطق الاخرى من العالم؟ ليس هناك مرشح واضح لهذا الدور. السعودية لديها المال لكن عدد سكانها صغير نسبياً. العراق كان مرشحا كبيرا للعب دور القوة القائدة في المنطقة، فهو بلد كبير لديه موارد نفطية هائلة ونسبة تعليم عالية، لكنه انحرف بالاتجاه الخطأ. قد يعود العراق ليصبح القوة المهيمنة بين الدول العربية. هذا يبدو أمراً ممكن الحدوث.

س٩- ينظر كثيرون إلى تركيا على أنها جسر بين العالم الغربي والعالم الإسلامي. هل ترى أنت ذلك؟

هنتينغتون: لا أوافق على منح الكثير من الاهمية لذلك. فلتركيا مصالحها الخاصة بها وهي، تاريخياً، كانت مسيطرة على العالم العربي كله، وكان على العرب ان يخوضوا حروباً كي يحرروا انفسهم من الاتراك. كان هذا في الماضي، بالطبع، ولن يكون، بالضرورة، العامل الحاسم في ما سيحدث في المستقبل. لكن هذا التاريخ ما زال ماثلاً في ذاكرة الشعوب العربية.

س١٠- هل من مصلحة الولايات المتحدة ان تعمل على عدم ظهور قوة إقليمية مهيمنة؟

هنتينغتون: هذا كله يتوقف على من تكون هذه القوة القائدة المهيمنة. نظرياً، تجد الولايات المتحدة انه من الأسهل لها أن تتعامل مع الحالات التي يوجد فيها بلد قائد. إذ يمكنها ان تذهب إلى البلد المسيطر في منطقة معينة، إلى الهند على سبيل المثال، وتقول لها: "هناك مشاكل كثيرة في بنغلاديش، وعلينا ان نفعل شيئاً حيال ذلك، فماذا تقترحون ان نفعل كي نتوصل إلى سياسة مشتركة؟" ولكن عندما لا توجد قوة مشابهة للهند في منطقة معينة، يكون علينا ان نذهب من عاصمة إلى أخرى ونحاول بناء تحالف، وهذا امر في غاية الصعوبة، وخاصة في العالم العربي، بسبب التشعبات المتنوعة والمتنافسة في الإسلام.

س١١ — زميلك أمارتيا سن في جامعة هارفارد انتقد فرضيتك المتعلقة بالحضارات القائلة بأن "الهوية ليست قدراً" وان كل فرد يمكن له أن يبني ويعيد بناء الهويات التي يختارها. وقال ان نظرية صراع الحضارات "تقزّم الاشخاص" وتحولهم إلى " هويات مفردة لا خيار لها" تتلاءم مع "الأطر الحضارية" المتعددة. ما منظورك للمواطنين الذين يحملون هويات متعددة؟

هنتينغتون: أعتقد أن هذا القول لأمارتيا سن خاطئ تماماً. أنا لم أقل ذلك أبداً، وأدرك ان الناس لديهم هويات متعددة الجوانب. ما قلته في كتابي، كما أشرت سابقاً، هو أن أسس المصادقة والعداوة بين البلدان قد تغيرت عبر الزمن. في العقود القادمة، التساؤلات حول الهوية، والتراث الثقافي ذو المغزى، واللغة، والدين، سوف تلعب كلها دوراً أساسياً في السياسة. طرحت هذه الفكرة لأول مرة منذ ١٠ أعوام، وتم تقييم الكثير مما قلته منذ ذلك الحين وحتى الآن.

س١٢- كيف يقوم الاشخاص الذين يحملون هويات متعددة بمناقشة ذلك؟

هنتينغتون: يستنبطون طرقاً للتوفيق بين هذه الهويات، وهذا يحدث طوال القرنين أو الثلاثة قرون الماضية. عندما يزداد عدد المهاجرين إلى مجتمع ما، وتزداد فيه الأقليات الإثنية والدينية، يقوم بتطوير لغة ومجموعة قواعد يقبلها المجتمع القومي الأوسع وتقبلها الاقليات في نفس الوقت.

على المجتمع الاوسع ان يعترف بدرجة من الاستقلال الذاتي للاقلية: مثل حقها في ممارسة شعائرها الدينية وحقها في العيش بطريقتها الخاصة وحقها باستخدام لغتها، إلى حد معين. كثير من المسائل الصعبة التي تتعلق بدور الاقليات الإثنية تتركز حول اللغة. إلى أي حد هم متعلمون في لغتهم الخاصة أو في اللغة القومية الرسمية؟ إلى أي حد يتحول المجتمع، بشكل رسمي أو غير رسمي، إلى مجتمع لديه لغتان قوميتان؟ أم أن لغة واحدة هي التي تستخدم في المعاملات العامة، والمحاكم، والهيئات التشريعية، والفرع التنفيذي والسياسة؟ هذه، كما نعلم، يمكن أن تتحول إلى مسائل دقيقة جداً وتتطلب قدرا كبيرا من الحذر والبراعة.

س١٢ — كيف تعتقد أن الأصولية

—تلك الفكرة المتطرفة التي مفادها أن هوية المرء متفوقة على

الآخرين —تؤثر على السياسة العالمية اليوم؟ وهل تعتقد ان هناك أصولية واحدة فقط وهي المرتبطة بالإسلام، أم تعتقد ان الاصولية موجودة لدى جميع الأديان؟

هنتينغتون: أعتقد أن الاصولية هي كما قلت: هذا الموقف المتطرف للمرء حيال هويته وثقافته بالمقارنة مع هويات وثقافات الآخرين. النزعات والحركات الاصولية سبق ان وجدت في جميع المجتمعات والحضارات. بالتأكيد هنا في الولايات المتحدة كان لدينا حركات اصولية كان لها مواقف عدائية خطرة تجاه الهجرة وتجاه استيعاب المهاجرين وانصهارهم في مجتمعنا وثقافتنا. وهكذا فإن هذه النزعات الأصولية هي كونية شاملة ولا تقتصر على حضارة دون اخرى.

تقع المشاكل عندما تخرج هذه المواقف الاصولية عن السيطرة وتصبح عاملاً مسيطراً في مجتمع ما، مما يؤدي إلى قمع الاقليات وحتى إلى خوض حروب مع المجتمعات المجاورة التي تنتمي إلى ثقافات مغايرة. من هنا تأتي أهمية محاولة إبقاء هذه النزعات المتطرفة تحت السيطرة.

س١٣ — لماذا يوجد توتر بين المسلمين والمجموعات الاخرى في المجتمعات الأوروبية بالمقارنة مع امريكا، حيث يبدو المسلمون اكثر تكيفاً؟ وما الرابط بين هذا وبين نظريتك حول الهوية والثقافة فيما يتعلق بالأقليات الهسبانية في الولايات المتحدة؟

هنتينغتون: أولاً، الفارق الاكبر المتعلق بالمسلمين في أوروبا والمسلمين في امريكا هو ان عدد المسلمين في امريكا صغير بالمقارنة بعددهم في أوروبا. ثانياً، المسلمون في امريكا جاؤوا عابرين آلاف الاميال في المحيط الاطلسي، ولم يمشوا فقط عبر الحدود او في رحلة قصيرة جدا في زورق عبر مياه الأطلسي.

امريكا لا تجاور بلدانا مسلمة. اما البلدان الأوروبية فهي مجاورة لبلدان إسلامية و ويبدو أن هذا فارق كبير بين الإثنين.

ما هو وضع المسلمين في أوروبا بالمقارنة مع وضع الهسبانيين في الولايات المتحدة؟ هناك فوارق اساسية لان الولايات المتحدة كانت على الدوام بلد مهاجرين. الهسبانيون الذين أتوا إلى هنا (أي إلى الولايات المتحدة) هم بغالبيتهم من المكسيك وأمريكا الجنوبية. هم من الكاثوليك، لكن الكاثوليكية هي دين أمريكي. ثلث الشعب الامريكي هم كاثوليك، وبالتالي ليس لمجيئهم نفس التأثير الذي لمجيء المسلمين إلى أوروبا. وهم يتكلمون الإسبانية أو البرتغالية، وهي لغات مألوفة لنا، ولهذا لا تطرح نفس المشاكل التي يطرحها المسلمون الذين يتكلمون اللغة العربية في أوروبا.

الفارق الأساسي بالنسبة لنا فيما يتعلق بالهجرة الهسبانية هو أنها هجرة بأعداد كبيرة وأنها تاتي من دول مجاورة لنا وليس من دول وراء المحيطين الاطلسي والهادي. هذا يطرح علينا مسائل مختلفة و يخلق لنا مشاكل مختلفة عما كان عليه الامر في الماضي. لكنه، مع ذلك، ما زال مختلفا جداً عن الحالة في أوروبا، حيث نجد اناساً ينتمون إلى دين مختلف جداً وغير أوروبي ياتون من بلدان مجاورة.

عن: مجلة نيو ريبريزينتاتيف

روبرت فيسك: كم يسهل علينا وضع الكراهية على خريطة

ترجمة: المدى

من الواضح اننا مذنبون في هذه اللعبة الطائفية. فنحن نريد زرع التفرقة بين صفوف أعدائنا المحتملين.

لماذا نحاول تقسيم شعوب الشرق الاوسط؟ لماذا نحاول تجزئتهم وتغييرهم، لماذا نحاول بقسوة واستمرار تذكيرهم بانقساماتهم، بشكوكهم، وقدرتهم على الكراهية المتبادلة؟ هل هذه هي عنصريتنا اللامبالية؟ أم أن هناك جانبا اكثر ظلمة يكمن في أرواحنا كغربيين؟

لنأخذ الخرائط مثلا. هل انا الشخص الوحيد الذي يشعر بالغثيان من جراء ميلنا الإعلامي إلى نشر خرائط طائفية للشرق الاوسط؟ أنتم تعرفون جيداً ما أعنيه. فنحن على اطلاع جيد على خريطة العراق ذات الرموز اللونية. الشيعة في الأسفل(طبعاً)، السنة في "مثلثهم" في الوسط، والكرد في الشمال. أو خريطة لبنان، حيث أقيم. الشيعة في الاسفل(بالطبع)، الدروز إلى شمالهم، السنة في صيدا وعلى الشريط الساحلي جنوبي بيروت، الشيعة في الضاحية الجنوبية للعاصمة، السنة والمسيحيون داخل المدينة، المسيحيون المارونيون إلى الشمال، السنة في طرابلس، المزيد من الشيعة في الجهة الشرقية. كم تروق لنا هذه الخرائط. فهي وسيلة تسهيل للكراهية.

المسألة طبعاً ليست بهذه البساطة. فأنا أقيم في منطقة دروز في غرب بيروت، لكن سائقي و السمان القريب مني هما سنيان. أفترض أنه ليس من حقهما الخروج عن التوزيع الذي يرد في خرائطنا!

بعض الأسر الشيعية غادرت منازلها في طريق الجديدة، وهي منطقة سنة — مؤقتاً، يقولون، لفترة قصيرة، وقد تركوا المفاتيح مع الجيران، كما هي العادة دائماً

—مما يعني أن خرائطنا الآن أصبحت الآن أكثر نظافة وأسهل على الفهم. والشيء نفسه يحدث على نطاق اوسع في بغداد. ويمكن الآن للرموز اللونية على خرائطنا ان تصبح أكثر جرأة ووقاحة.

ولن نعود الى استخدام تعبير "منطقة مختلطة" الذي يثير الإرباك!

لقد فعلنا الشيء نفسه في البلقان. وكان وادي درينا مسلماً إلى ان "نظفه" الصرب. وكانت مناطق أخرى صربية إلى أن أخذها الكروات. هل أطلقنا عليهم اسم "كروات"؟ أم"كاثوليك" أم كلا الإسمين، على خرائطنا؟من الواضح اننا مذنبون في هذه اللعبة الطائفية. فنحن نسعى إلى تقسيم " الآخر"، "تقسيمهم"، تقسيم أعدائنا المحتملين، وتفرقتهم عن بعضهم، كي

نبقى نحن —الغربيين المتحضرين الذين توحدهم القيم النبيلة للتعددية الثقافية

—منيعين لا يمكن النيل منا. أستطيع ان أرسم لكم خارطة طائفية لبرمنغهام، على

سبيل المثال —تحمل الإشارتين "مسلمين"

و"غير مسلمين" —لكني لن اجد صحيفة واحدة على استعداد لنشر تلك الخريطة. أستطيع ان أرسم خارطة إثنية بالغة الدقة لواشنطن، وأن أوضح عليها شوارع المواجهة بين "السود" و "البيض" لكن صحيفة الواشنطن بوست لن تنشر أبداً هكذا خريطة.تخيلوا الغنى اللوني الذي يمكن لصحيفة نيويورك تايمز ان تستخدمه لرسم خارطة لبروكلين، هارليم، إيست ريفر، بكل ما فيها من بيض وسود وسمر وإيطاليين وكاثوليك ويهود....أو خارطة لتورنتو، حيث يمكن أن نرمز للمسلمين باللون الاخضر (بالطبع). لكننا لا نرسم خرائط هتلرية كهذه لمجتمعاتنا نحن. فهذا أمر رديء لا يتناسب مع حضارتنا الرفيعة التي نصونها بانتباه.

في هذا الاسبوع، لاحظت على غلاف مجلة تايم ما يمكن أن يعتقد بانه غلاف نازي يعود إلى أعوام الثلاثينات —حيث ظهر رجلان معممان بعمامتين مختلفتين. والعنوان العريض: "السنة إزاء الشيعة: لماذا يكرهان بعضهما". وكانت هذه الصورة، بالطبع، عبارة عن "صورة مقتطعة" من العراق —وهي بالمناسبة صورة كان الناطقون الرسميون الامريكيون في بغداد قد بدؤوا الحديث عنها منذ آب ٢٠٠٣، عندما كان معظم العراقيين لا يتوقعون، في أسوأ كوابيسهم، ما يحدث في العراق الآن.

ولكن، إذا انتقل عزيزنا قارئ مجلة تايم إلى الصفحة ٣٠، ماذا سيجد فيها؟ " كيف تميز بين السنة والشيعة من خلال المظهر الخارجي." أليس هذا مفيداً؟ يلي ذلك عمود من المعلومات المهمة عن إمكانية معرفة الانتماء الطائفي للمرء من خلال اسمه وطريقته في الصلاة وجوامعه ولهجته، وحتى —وليحفظنا الله - من خلال سيارته: بحسب الصور الملصقة عليها وبحسب المنطقة المذكورة على نمرتها.شكراً مرة أخرى. أنا لا اعرف لماذا لا يشتري الجيش الامريكي كل نسخ عدد هذا الأسبوع من مجلة تايم ويسقطها من الطائرات فوق بغداد كي يساعد القتلة على التعرف على أهدافهم بسهولة. ولكن هل ستساعدنا (مجلة تايم) على التعرف على المجتمع الامريكي المنقسم بعمق؟ هل ستفعل ذلك بحق الجحيم.

انا أيضاً مدان بلعب هذه اللعبة الطائفية في الشرق الاوسط. انا اسأل كل لبناني ألتقيه عن المنطقة التي ينتمي إليها، ليس بغاية ان اتذكر الجبل او النهر القريب من منطقته بل كي يسهل علي تصنيفه وتحديد مكانه على خرائطي الطائفية. لكني سرعان ما اخفق. فالرجل الذي يقول لي انه من الجنوب اللبناني (منطقة الشيعة) سرعان ما يتبين انه يقيم في بلدة حاصبيا الدرزية. والمرأة التي تقول انها من جبيل (منطقة مسيحية) يتبين انها من الاقلية الشيعية في جبيل.

لا عجب في اننا نكره إيران إلى هذا الحد. ونستمر في التفرقة وتجزئة الارض، وطبع المزيد من خرائطنا العنصرية أنا اتساءل بجد عما إذا كنا، نحن في الغرب، نرغب في إثارة حرب في كل أنحاء منطقة الشرق الاوسط. وأعتقد صادقاً أننا حقاً نرغب في ذلك.

عن :الاندبندت البريطانية